تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

حلف ترامب ـ نتنياهو يشعل حرباً بين أشقاء ضفتي الخليج

ما يجري على ضفتي الخليج، سابقة مؤلمة لم تعهدها العلاقات بين دول هذه المنطقة الحيوية التي يمر من مضيق هرمز فيها نحو 40% من الانتاج العالمي للنفط، وينقل العلاقات بينها من مرحلة التعقيد والفتور الطويلة، الى مرحلة مجهولة المعالم عندما تكتب الحرب نهايتها

الاسئلة كثيرة، ولا تقتصر على التالي: لماذا تهاجم ايران الدول الخليجية الـ 6 في الخليج؟ ما مدى اتساع انخراط القواعد العسكرية والامنية الاميركية، في الحرب التي بدأتها الولايات المتحدة واسرائيل على الاراضي الايرانية؟ هل من الممكن ان تتوسع الحرب اكثر؟ وهل ستنجح الحرب على طهران في اخضاعها؟ كم سيكون الثمن ايرانيا وخليجيا واقليميا؟ ماذا لو خرجت ايران اكثر تماسكا ومجروحة بعمق فكيف ستتأثر العلاقات على ضفتي الخليج؟

وهل جازفت الولايات المتحدة بعلاقاتها التاريخية مع الخليجيين وامنهم، بتغليبها مصلحة اسرائيل في هذه الحرب ومسار المواجهة مع الايرانيين؟ التساؤلات تتخطى ذلك، وما من جهة تملك اجابات قاطعة حولها، لكن المؤكد ان الدول الخليجية تفضل نهاية سريعة ومضمونة للحرب الحالية، لأن كل يوم اضافي، يلحق خسائر لم تكن تتصورها او تتوقعها حتى الماضي القريب، وتطال مجتمعات تميزت خلال العقود الماضية، وفي مراحل ما بعد استقلالها، بمقومات الامان والرفاهية، ولم يعكرها بشكل جوهري عموما، سوى الغزو العراقي للكويت في العام 1990.

ها هي الدول الست، قطر، السعودية، الامارات، الكويت، البحرين وعمان، تشاهد امانها الدقيق يهتز، وهي امام خيارات شاقة ومصيرية، خصوصا بعدما قررت ايران، ومع اغتيال مرشدها الاعلى السيد علي خامنئي والعديد من قادتها الكبار في الساعات الاولى من العدوان الأميركي - الاسرائيلي المشترك، رفع مستوى ردودها، وضرب المواقع العسكرية الاميركية المنتشرة في دول الخليج، باعتبار ان الهجمات ضدها، تنسق وتنفذ انطلاقا من هذه القواعد والمنشآت التي يقدر عددها بـ30، لكنها جزء من شبكة اوسع من القواعد في انحاء الشرق الاوسط الاوسع والمقدر عددها بأكثر من 55.

يتركز الوجود الاميركي في الخليج في مواقع معسكري عريفجان وعلي السالم في الكويت، والعديد في قطر وهي الاكبر في الشرق الاوسط وتعمل كمقر للقيادة المركزية "سينتكوم"، وذلك الى جانب قاعدة الجفير البحرية في البحرين التي تعتبر مقر الاسطول الخامس الاميركي. وهناك ايضا قاعدة الظفرة الجوية في أبوظبي - الامارات، وقاعدة الامير سلطان الجوية في السعودية. اما سلطنة عمان، فإنها توفر تسهيلات عسكرية في مطارات وقواعد بحرية مثل قاعدة مصيرة الجوية وميناء الدقم.

اذا كانت هذه القواعد تعتبر ركيزة اساسية للوجود العسكري الاميركي في المنطقة، والذي يضعه الاميركيون عادة في اطار تأمين امدادات الطاقة وحماية الممرات المائية الحيوية مثل مضيق هرمز، الا انه منذ ان صارت الولايات المتحدة اكثر استقلالية عن موارد الطاقة الخارجية، صار يبدو هذا التواجد في سياق احتواء "الخطر العراقي" في العقدين الماضيين، ثم "الخطر الايراني" في المرحلة الحالية. ويكفي النظر الى خارطة الانتشار العسكري الاميركي في انحاء الشرق الاوسط الاوسع، ليظهر مدى تركز هذه القواعد في محيط ايران من كل الجهات.

بهذا المعنى، فانه ليس غريبا ان ايران ظلت تعتبر القواعد العسكرية الاميركية في المنطقة مثابة تهديد مباشر لأمنها القومي، وها هي مخاوفها تتحقق. اما دول مجلس التعاون الخليجي، فتبدو بحسب العديد من المحللين كأنها بين فكي كماشة: فمن جهة لا يمكنها التخلي على علاقاتها المتميزة مع واشنطن واتفاقاتها الاقتصادية والعسكرية والامنية معها، ومن جهة اخرى، فإنها تدرك ان هذه العلاقات

حلول ممكنة؟

في امكان دول الخليج وايران اللجوء الى استنساخ الاتفاق السعودي - الايراني برعاية الصين، للعمل على خفض التوتر وتجاوز تداعيات هذه الحرب. وفي الامكان ايضا طرح مبادرة خليجية لوقف الحرب وتهدئة الموقف، وتكثيف اللقاءات الخليجية مع المسؤولين الايرانيين لبحث ترتيبات امنية مشتركة تعزز اجراءات بناء الثقة والتواصل، خصوصا بعدما اصبحت بعض الدول الخليجية تقيم علاقات ديبلوماسية وامنية وعسكرية مع اسرائيل، وهو ما يساهم في تأجيج التوتر على ضفتي الخليج.

تحديدا، تجلب عليها تداعيات اي توتر او صدام أميركي - ايراني... وهو ما حصل.

على الرغم من ان كثيرين كانوا يتوقعون ان توجه ايران ضربة ضد الوجود الاميركي في احدى دول الخليج، اسوة بما فعلته عندما استهدفت قاعدة العديد في قطر خلال حرب الايام الـ12 في العام 2025، الا ان قلة كانت تقدر بأن طهران قد تلجأ الى مثل هذا الهجوم الموسع على مواقع في الدول الخليجية. ويبدو ان اغتيال المرشد خامنئي، مثل جريمة ليس في امكان القيادة الايرانية تقبلها، اضافة الى انها اكدت لهم ان ادارة ترامب، بتحريض من إسرائيل - نتنياهو، دفعت ايران بعد هذا الاغتيال والهجوم الشامل، الى خيار خوض "حرب وجودية" وليس فقط مجرد منازلة عسكرية محدودة القوى والنطاق، فجاءت الهجمات على اراضي الضفة الخليجية المقابلة، بهذه القسوة.

وبينما اسرائيل امام هذا المشهد تبدو راضية لأن وابل الانتقام الايراني لم يتركز عليها، وانما ذهب في اتجاه الدول التي تستضيف القواعد الاميركية في الخليج، الا ان منحى المواجهات اتخذ منحى اكثر خطورة بعد اعلان السلطات الايرانية استهداف مقرات لمؤسسات مالية اميركية في دبي، ردا على استهداف الاسرائيليين مقرا لبنك ايراني. ثم تصاعدت المخاوف، بعدما قرر ترامب استهداف "جزيرة خرج" التي تعتبر مقرا اساسيا لحركة الصادرات النفطية الايرانية في الجزء الشمالي من الخليج، فظهر وزير الخارجية الايراني عباس عراقجي مؤكدا ان الهجوم الاميركي الصاروخي على الجزيرة كان مصدره امارة رأس الخيمة الإماراتية. ثم صدر تحذير من القوات المسلحة الايرانية في 14 اذار، مرفق بخارطة محددة بالأحمر مناطق مثل ميناء جبل علي وميناء الفجيرة وميناء خليفة كأهداف محتملة ويتحتم اخلاؤها.

هذا شرخ كبير بين ضفتي الخليج. هناك تقديرات بأن الامارات هي ثاني اكبر شريك تجاري لايران عالميا، حيث يبلغ حجم تبادلهما التجاري نحو 50 مليار دولار سنويا، ولهذا فان هذا التدهور بينهما ليس خبرا عاديا. وبالمثل، فان علاقات إيران مع السعودية اتسمت طويلا بمراحل من الفتور او التوتر وحتى ◄

الصدام، ولم يتحقق انفراج جدي سوى في العام 2023 مع اتفاق التطبيع بينهما والذي جرى برعاية صينية.

لكن مشكلة ايران، اذا صح التعبير، مع مجمل المشهد الخليجي تتركز على قضية الحضور العسكري الاميركي، والغربي عموما، على سواحل الضفة الغربية للخليج، وهي نقطة لطالما اثيرت في الاجتماعات بين الطرفين، بينما كانت حكومات مجلس التعاون الخليجي تشكو اما من محاولات ايرانية للتدخل في شؤونها الداخلية او قضايا مثل الجزر الاماراتية الثلاث التي تقول ابوظبي ان طهران تحتلها، فيما كانت العواصم الخليجية تؤيد دائما الضغوط الغربية على طهران للكشف عن برنامجها النووي خشية عسكرته.

تتسم العلاقات بين ايران ودول الخليج بالتعقيد، حيث تتأرجح بين التوتر الامني والتعاون الديبلوماسي الحذر، هناك مخاوف حقيقية

> **الامن الخليجي يهتز و55 قاعدة اميركية تحيط بايران**

من اتساع رقعة الحرب لتصبح مواجهة اقليمية شاملة. وهناك تقديرات تظهر للمرة الاولى في بعض الاوساط الخليجية، تحذر من الانجرار الى حرب مباشرة مع الايرانيين. مهد ترامب نفسه لتلك الفكرة عندما بدأ يتحدث بحماسة عن ضرورة انخراط الدول الاخرى في التصدي لايران، لكن الفكرة اثارت مخاوف كبرى مع حديث السيناتور الجمهوري البارز ليندسي غراهام، المقرب من ترامب، داعيا بنبرة تهديد السعودية والدول الخليجية الاخرى، وذلك عندما كتب على منصة "اكس"، "لماذا يجب على اميركا ان تبرم اتفاقية دفاع مع دولة مثل المملكة العربية السعودية غير مستعدة للانضمام الى معركة ذات مصلحة مشتركة؟ ومن المفهوم ان المملكة ترفض استخدام جيشها القادر كجزء من جهد لإنهاء النظام الايراني الهمجي والارهابي الذي ارعب المنطقة وقتل اميركيين". وتابع غراهام قائلا: "اميركيون يموتون والولايات المتحدة تنفق المليارات لطرد النظام الارهابي الايراني وفي الوقت نفسه، يبدو ان السعودية تصدر بيانات وتفعل اشياء في الخلفية مفيدة بشكل هامشي، لكنها غير مستعدة للمشاركة في عمليات عسكرية. آمل ان تشارك دول مجلس التعاون الخليجي بشكل اكبر حيث ان هذه المعركة تقع في الفناء الخلفي لها. واذا كنت غير مستعد لاستخدام جيشك الان، فمتى تكون مستعدا لاستخدامه؟ امل ان يتغير هذا قريبا. إذا لم يحدث ذلك، فستتبع ذلك عواقب".

رئيس الوزراء القطري السابق الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني كان اطلق فور بدء الهجوم الأميركي -الاسرائيلي على ايران، تحذيرا من انجرار الخليجيين اليها، قائلا ان "الاشتباك المباشر بين دول المجلس وايران ان وقع سيستنزف موارد الطرفين وسيتيح الفرصة لقوى كثيرة للتحكم بنا بحجة مساعدتنا للخروج من الازمة ووقف الاستنزاف. لذلك، فان من المهم تجنب الانزلاق الى مواجهة مباشرة مع ايران".

الاخطر في كلام الشيخ حمد هو ما قاله متابعا: "هناك قوى تريد ان تشتبك دول المجلس مباشرة مع ايران، وهي تعلم ان الاشتباك الحالي بين الولايات المتحدة واسرائيل من جهة، وايران من جهة اخرى سينتهي. وعلينا كذلك ان ندرك انه بعد انتهاء هذه المعركة، التي اريد لها ان تندلع قبل انتهاء مفاوضات السلام التي كنا نعول عليها كثيرا لتجنب الصراع، ستكون هناك قوى جديدة في المنطقة وسيكون لإسرائيل سطوة على منطقتنا. ليس امام دول المجلس الا ان تكون مثابة يد واحدة موحدة لمواجهة اي اعتداء عليها، ورفض اي محاولة لفرض الاملاءات عليها وابتزازها".

معنى كل هذا، ان الدول الخليجية ربما تكون تحت وطأة الاحساس الواضح بأن الحرب الجارية عليها فرضت عليها فرضا، وان هناك قوى تحاول دفع المنطقة الى اتون المعركة. المريب في ما يجري ان الايرانيين نفوا مرات عدة استهداف مواقع "مدنية" في الخليج خلال الاسبوع الاول من الحرب، او اطلاق صواريخ في اتجاه دول مثل تركيا واذربيجان وقبرص. وفي 15 آذار، تصاعدت التكهنات الخليجية مع اعلان الوزير عراقجي استعداد بلاده لتشكيل لجنة تحقيق مع دول المنطقة في شأن الاهداف التي تعرضت للهجوم، موضحا ان "الاميركيين صنعوا مسيرة تشبه مسيراتنا (من المرجح انه يقصد المسيرة الايرانية شاهد)، ويستهدفون بها مواقع في الدول العربية، ومن المحتمل ان تكون اسرائيل وراء الهجمات على اهداف مدنية في الدول العربية".

المشهد متأزم. الحركة البحرية عبر مضيق هرمز معطلة، حيث يمر عبره نحو 40% من الانتاج العالمي للنفط. السفن متوقفة عند سواحل المضيق او خارجه، وطهران "تختار" من يسمح له بالعبور، واسعار الغاز والنفط تتزايد، فيما شركات التأمين ترفع تكاليفها، وشركات الشحن تتراجع عن العمل هناك، وترامب يبدو كأنه "يستنجد" ببقية دول العالم، وحتى الصين، للمساهمة في العمل على فتح هرمز، ولو بالقوة، وهو ما ينذر باشتعال نيران الخليج اكثر، خصوصا بعدما هاجم ترامب جزيرة خرج، فيما من المرجح ان تبدأ بالظهور اثار الازمة الاقتصادية على المجتمعات الخليجية نفسها.

لكن ماذا يحاول الايرانيون تحقيقه؟ توسيع رقعة الحرب والازمة، قد تدفع دولا اقليمية وخارجية ايضا الى التحرك لوقف الحرب ضد طهران، واشعار العالم بأن الحرب مكلفة عليهم وعلى الاقتصاد العالمي ايضا في حال استطالت، وفرض شروط تقيها من الولايات المتحدة مستقبلا، ومحاولة التخلص من العقوبات الاميركية والغربية عليها خصوصا لجهة منعها من تصدير نفطها منذ سنوات، وربما ايضا تحقيق الهدف الايراني المعلن منذ سنوات لإخراج القوات الاميركية من المنطقة، والاهم البقاء في موقع الند فيما لو تم التوصل الى وقف لاطلاق النار.

لم "تنكسر الجرة" تماما بين الخليجيين والايرانيين. ومع ذلك هناك من يتساءل عما اذا كانت الدول الخليجية قد تلجا الى خيار الهجوم العسكري على ايران، خصوصا انها ستعتبر ذلك في اطار الدفاع عن النفس، وان العواصم الخليجية ستلجأ، ما ان تنتهي الحرب، الى فتح ابوابها كاملة لحماية عسكرية اميركية مطلقة، الا ان خطوة كهذه، وكما حذر الشيخ حمد، ورئيس الاستخبارات السعودية السابق الامير تركي الفيصل، قد يضعف موقف الدول الخليجية مستقبلا امام الهيمنة الاميركية، وربما الاسرائيلية حتما. اضافة الى ذلك، هناك احتمال ان تتخلى الولايات المتحدة عن الخليج بالكامل، وتترك دوله في جيرة هشة ومتوترة مع الجار الايراني الكبير، بعد حرب يبدو ان ترامب اعتمد فيها على مشورة نتنياهو، وليس على الحلفاء الخليجيين الستة.

الخليجيون والحرب

تمتلك دول مجلس التعاون الخليجي قدرات عسكرية متطورة في مجالات محددة، الا ان المقارنة مع ايران تظهر تباينا في الاستراتيجيات العسكرية، حيث تعتمد دول الخليج على التكنولوجيا الغربية المتطورة، بينما تركز ايران على الكم البشري والحروب غير المتناظرة. وتتملك دول مثل السعودية والامارات وقطر طائرات عسكرية مقاتلة متطورة وتتفوق بذلك على سلاح الجو الايراني، الى جانب منظومات الدفاع الجوي مثل "باتريوت" و"ثاد"، في حين ان انفاقها العسكري يبلغ 126 مليار دولار سنويا (السعودية وحدها تخصص حوالى 75 مليار دولار)، وهو ما يفوق ميزانية ايران الدفاعية باضعاف عدة، مما يسمح باستمرارية التحديث والتسليح. الا ان نقاط القوة الايرانية كبيرة خصوصا في ما يتعلق بالترسانة الصاروخية والمسيرات اكبر بكثير، وهي قادرة على الحاق اذى كبير من خلال مثلا هجمات "الاغراق"، كما تتفوق ايران (كجيش وحرس ثوري)، بالعديد حيث يقدر اجمالي القوات باكثر من 600 الف عنصر، في مقابل حوالى 350 و400 الف جندي لدى دول الخليج مجتمعة. هناك ثغرة استراتيجية لا تصب في صالح دول الخليج التي تتركز مدنها ومنشاتها الحيوية (الطاقة والكهرباء وتحلية المياه)، في مناطق ساحلية مكشوفة، مما يجعلها اهدافا سهلة نسبيا لأي ضربات صاروخية.